

موقف الفاتيكان من القضايا الفكرية خلال وبعد الحرب العالمية الثانية

المدرسة الدكتور
رغد فيصل عبد الوهاب
جامعة البصرة - كلية الآداب

تمتع الفاتيكان بمكانة روحية عالية ، حيث كان الفاتيكان في جميع الازمنة قوة من القوى الدولية الكبرى ، وعمله كعمل الكاثوليكية التي يتزعمها ن وكعمل المسيحية عموماً ، لم يأخذ امتداداً عالمياً الا بقدر ما بسطت روما اولاً ، والبلاد الاوربية بعدها ، امتدادها على العالم ، والمنطقة المسيحية في العالم تتشكل بصورة اساسية من أوروبا والأمريكيتين ولم تمتد على اسيا وافريقيا الا بصورة موازية للنفوذ الذي مارسه البيض في هذه الاجزاء من العالم (١) .

ان دور الفاتيكان ، حتى في بلاد " العرق الابيض " ، قل تدريجياً منذ بداية القرن التاسع عشر ، وقد مارس نفوذه على الصعيد السياسي ، من جهة وذلك بإبرام كونكوردات مع الحكومات الوطنية ، ومن جهة اخرى بطريقة الاحزاب الكاثوليكية (٢) . لقد كان وضع الفاتيكان ، بين الحربين ، صعباً بصورة خاصة وذلك بسبب الانظمة التي اتخذت موقفاً معادياً للمسيحية (٣) .

وقبيل الحرب العالمية الثانية ، برهن انتخاب وزير الخارجية بيوس الحادي عشر ، الكاردينال باتشيللي ، الذي اخذ اسم بيوس الثاني عشر عن ارادة مجمع الكرادلة في استمرار سياسة البابا بيوس الحادي عشر ، وقد عبر عن هذه الارادة بالسلام بعمل الفاتيكان الدبلوماسي (٤) .

ففي آب / ١٩٣٩ اقترح البابا بيوس الثاني عشر عقد مؤتمر للبلاد المعنية بالنزاع الالمانى البولونى والبلاد المتاخمة التي انضمت اليها الولايات المتحدة والفاتيكان وكان مهمة هذا المؤتمر اعادة النظر في معاهدة فرساي واعداد ميثاق عدم اعتداء جماعي

ولكن هذا النداء لم يسمع ، ولم يجدد البابا محاولته في ادخال الفاتيكان في عصابة الامم ، ومنذ ذلك الوقت اخذ الفاتيكان الموقف المذهبي بصورة محضة ووضح مذهب الكنيسة في العلاقات الدولية في المنشور البابوي المؤرخ في ٢٠ / تشرين الاول / ١٩٣٩ وكذلك في رسائل عيد الميلاد في ١٩٣٩ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٤ (٥) .

وفي جميع هذه الرسائل يحذر بيوس الثاني عشر الشعوب من التجاوزات القومية ويعوها لاقامة السلام في المستقبل والنظام نفسه على العدل ويخص الغالبين على الا يفرضوا على المغلوبين معاهدات الاكراه والعنف ويعبر عن ذلك بقوله : " فاذا كان من الواضح انسانياً ان تتخذ تدابير الامن ضد الشعوب، التي يحكم بانها مسؤولة عن الحرب ، فيجب مع ذلك ان يترك لها الامل با تشارك من جديد ذات يوم في الاسرة الكبرى للامم " (٦) .

وقد اصر بيوس الثاني عشر على ضرورة احترام الكلام المعطي وتنفيذ المعاهدات باخلاص ودقة ، لذلك اكد على ضرورة انشاء " محكمة حقوق دولية يمكن ان تدعم قراراتها بمؤيدات اقتصادية بل وعسكرية . واخيراً يجب ان يضمن السلام بنزع عام للسلاح وبتوزيع عادل للمواد الاولية " (٧) .

وانشاء اندلاع الحرب ، امتنع البابا عن ان يقوم بأي مبادهة لصالح السلام ، وقد الجأ الفاتيكان العديد من اللاجئين قبل الحرب واثناء الحرب . وبخاصة بعد الهدنة الايطالية ، في ٨ / ايلول / ١٩٤٣ ، وانجد (غير الاوربيين) ودعا الطوائف الدينية ان تهبئ ملجأ لليهود ، وساعد البابا نفسه الاسرائيليين في روما في دفع الضريبة التي فرضت عليهم ، وحاول عبثاً ، ان يمنع الحكومة الهنغارية من تشديد القوانين المناوئة للسيامية في حزيران / ١٩٤٤ (٨) .

هذا وان موقف القوة المعنوية العامة ، الذي اتخذه البابا ، اعطى الفاتيكان موقعاً دبلوماسياً شخصياً . ومنذ اخر ١٩٣٩ ، ارسل اليه روزفلت ممثلاً شخصياً ، حتى ان الصين وفرنلندا والبلاد المنخفضة واليابان ، التي لا تقيم علاقات دبلوماسية مع البابا فعلت الشيء نفسه بارسال ممثلاً شخصياً (٩) .

فضلاً الى ذلك ان الفاتيكان كان معاد للنازية والشيوعية ، وهذا ما اكده الكاردينال تيسوارنت في كانون الاول / ١٩٤٤ ولكنه لم يشجب علناً الا الشيوعية "

راثياً لرؤية الظل المشؤوم لاعداء الله يتناول على وجه اوروبا المسيحية " فضلاً الى ذلك استنكر الفاتيكان عدوان الاتحاد السوفيتي على فنلندا وحاول الفاتيكان ان يمنع ايطاليا من الدخول في الحرب . وامتنع رغم عدائه للشيوعية ، عن دعم المناورات الالمانية لاثارة الكفاح الاوربي ضد البلشفية ، على ان ارجاع الحرية الدينية في الاتحاد السوفيتي ادى الى الانفراج بين البابا وموسكو (١٠) ، اما في الغرب ، ففي شباط / ١٩٤٣ ، وافق البابا بان يمثل الجنرال ديغول (Degaulle) (١١) في الفاتيكان ن ولكنه لم يعترف بـ " الحكومة المؤقتة " التي شكلها ديغول الا في كانون الاول / ١٩٤٤ ، ومن جهة اخرى رفض ، بالرغم من الالاحاحات الشديدة ان يعيد الاحبار (١٢) الذين اظهروا ولاءهم لنظام فيشي (١٣) .

نستنتج من ذلك ان الدور السياسي للفاتيكان اثناء الحرب العالمية الثانية ، كان قليل التأثير ، ويتجلى ذلك في موقف الفاتيكان بعيداً عن عقد مفاوضات السلام في باريس .

اما بعد انتهاء العمليات الحربية ، اتخذ الفاتيكان سياستين الاولى هي التأكيد على عمومية الكنيسة والثانية هي تجنب الانخراط في أي سياسة قومية حيث سعى الفاتيكان في كل مكان ان يجعل من الكنيسة قوة تندمج بمختلف البيئات القومية ، ولذا اكد على رجال الدين ضرورة الانفتاح شيئاً فشيئاً على الاسيويين والافريقيين (١٤) .

وفي مستعمرات الدول التي كانت تحت الوصاية ، اكد الفاتيكان على الا يخطط عمل الكنيسة بعمل الدول المنتدبة ، وليس ادل على ذلك في البلاد الافريقية التابعة لفرنسا وبلجيكا ، من ان البعثات لا تتخذ من نفسها ممثلاً للمصالح الفرنسية او البلجيكية ن بل ممثلاً فقط للمصالح الدينية تكون تحت رعاية الفاتيكان (١٥) .

وعلى صعيد السياسة الداخلية ن فقد اتخذت سياسة الفاتيكان تلعب دوراً نشيطاً عن طريق الاحزاب التي تنادي بالمبادئ الكاثوليكية وبالمبادئ المسيحية ، وهذا العمل الداخلي يمارس ن بصورة غير مباشرة ، تأثيراً واضحاً على السياسة الخارجية للبلاد الكاثوليكية (١٦) .

ففي اوروبا الغربية كلها ، جذب التطور نفسه الاحزاب الكاثوليكية ، حيث اتحدت في حزب واحد ، احزاب الكاثوليكين - المحافظين ن والديمقراطيين - المسيحيين ذوي

النزعات الاجتماعية التقدمية ، لتشكل احزاب اجتماعية - مسيحية تلعب في فرنسا وايطاليا والمانيا الغربية وبلجيكا والنمسا ، دوراً من المستوى الاول . وقد تميزت سياسة الفاتيكان بمرونتها حيث اكد على اهمية عودة الوحدة الالمانية ولكنه امتنع عن تمثيل الكنيسة في المؤتمرات الدينية الكبرى التي كانت (ظاهرات مسرحية) لهذه الوحدة غير ان هذه المؤتمرات ، كانت (إنجيلية) ، لان الوحدة الالمانية التي مثلتها هذه المؤتمرات ، كانت بروتستانتية وقد فقدت صفتها القومية (١٧) .

وفي ايطاليا ، كانت سياسة الفاتيكان غير مستقرة في القضية الملكية ، ولم يمنع الفاتيكان الديمقراطية المسيحية التي ساقها (دون ستورزو) من ان تبدي رأيها ضد الملكية ، وهذا ما سبب سقوطها وكذلك الحال نفسه في بلجيكا ، اثناء الازمة السلالية ، على الرغم من ان الكاثوليكين ، في اكثريةهم الواسعة ، قد ابدوا رأيهم لصالح الملك ، فقد تجنب الفاتيكان أي حركة يمكن ان تؤول بانها صالحة للملك ليؤبولد الثالث ، وضاهراً بريد الفاتيكان ان يبقى خارج جميع الازمات السياسية لغرض التكيف مع حالة جديدة (١٨) .

وعلى صعيد المصالح المذهبية . لا تتردد الكنيسة في الدخول في المنازعات السياسية . ففي فرنسا ، قام (الكهنة العمال) بنبشير نشيط في الوسط الشيوعي . لكن عملهم كان قد استنكر بسبب الموقف المتطرف الذي وقفه بعضهم عندما ذهبوا حتى المشاركة في الحركات الثورية (١٩) .

نستنتج من ذلك ان سياسة الفاتيكان ، كسائر السياسات القومية متجه نحو الاتجاه الديمقراطي الذي اخذ يقرضه على العالم وذلك باشكال مختلفة ويتضح ذلك من خلال العمل الكاثوليكي الذي كان مسيطراً على الصعيد الاجتماعي والسياسي من خلال الاحزاب السياسية .

الهوامش

١. نور الدين حاطوم ، قضايا عصرنا منذ عام ١٩٤٥ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٢ ، ص ٥٣٢ ؛

White, J. The origin of Modern Europe , New York , 1966 , P.130.

٢. وقد وضع البابا بيوتس الحادي عشر هذا الموقف عند عقد اتفاقيات (لاتران) في ١٩٢٩ حيث صرح في ذلك الوقت بأنه " يريد ان يبقى خارجاً عن كل المنافسات الزمنية بين الدول الاخرى ، وعن المؤتمرات الدولية المنعقدة لهذا الغرض ، الا اذا تقدمت الاطراف المتنازعة بطلب يتفق ورسالته في السلام " وكان الدفاع عن السلام من الامور المهمة لسياسة الفاتيكان وقد وضحها البابا في رسالته في ايلول / ١٩٣٨ . للمزيد من التفاصيل ينظر : نور الدين حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٤٧٦ .

Gotlschalck , Lois and Lach F.D., Europe and Modern World , Chicago , 1951 , P. 212 .

3. Ibid , P. 213 ; Adamthwaite , Anthony P., The Second World War , London , 1972 , P.23 .

4. White , op. Cit, P.133.

5. Black , C. E. and E. C. Helmreich , Twentieth century Europe , second Edition , New York , 1959 , P. 222 .

٦. نور الدين حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٥٢٣ .

٧. المصدر نفسه ، ص ٥٢٤ .

8. Adamth Wait , op. cit , P. 25 .

9. Ibid , P. 26 .

10. Sam Sonov , Ashort History of the USSR , Translated From the Russian by David Skvirsky , Pant 11 , First printing , Moscow, 1965 , P.22 .

١١. شارل ديغول (Charles Degaulle) ، (١٨٩٠ - ١٩٧٠) ، قائد عسكري فرنسي كبير ورئيس جمهورية فرنسا تخرج من مدرسة سان سير العسكرية في عام ١٩١١ ، وعمل خلال الحرب العالمية الاولى برئاسة المارشال بيتان . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، كامل الزهيري ، الموسوعة السياسية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ ، ص ٢٧٢ .
١٢. ان المبادئ التي وضعها المذهب الحيري ، فتقرب عن كثب من النقاط الاربعة عشرة التي كان قد وضعها ولسن والافكار التي كانت اساساً لعصبة الامم ومنظمة الامم المتحدة . للمزيد من التفاصيل ينظر :
- Alex Androv, V. A, Contemporary World History 1917 – 1945 , Translated From Russian , 1986 , P.220.
١٣. حكومة فيشي ، وهي الحكومة التي تشكلت برئاسة المارشال هنري فيلب بيتان (١٨٥٦ - ١٩٥١) على اثر الاحتلال الالمانى لفرنسا حيث وقع بيتان الهدنة مع المانيا عام ١٩٤٠ . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
14. Hayes , Carlton , Political and Cultural History of Modern Europe , New York , 1936 , P.330.
15. Ibid , P.331.
١٦. نور الدين حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .
17. Schevill , Ferdinand , A history of Europe From the Reformation to the Present day , New York , 1946 , P. 130.
18. Ibid , P.131 ; Black , Op. , cit., P.225 .
19. Ibid , P.225 .

المصادر

١- الموسوعات :

- عبد الوهاب الكيالي ، كامل الزهيري ، الموسوعة السياسية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ .

٢- المراجع العربية والاجنبية :

أ- العربية :

١- نور الدين حاطوم ، قضايا عصرنا منذ عام ١٩٤٥ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٢ .

ب - الاجنبية :

- 1- White, J. The origin of Modern Europe , New York , 1966
- 2- Gotlscalck , Lois and Lach F.D., Europe and Modern World , Chicago , 1951 .
- 3- Adamthwaite , Anthony P., The Second World War , London , 1972 .
- 4- Black , C. E. and E. C. Helmreich , Twentieth century Europe , second Edition , New York , 1959 .
- 5- Sam Sonov , Ashort History of the USSR , Translated From the Russian by David Skvirsky , Pant 11 , First printing , Moscow, 1965 .
- 6- Alex Androv, V. A, Contemporary World History 1917 – 1945 , Translated From Russian , 1986 .
- 7- Hayes , Carlton , Political and Cultural History of Modern Europe , New York , 1936 .
- 8- Schevill , Ferdinand , A history of Europe From the Reformation to the Present day , New York , 1946 .